

(١)

**الوفاء بالعقود والعهود وحرمة التلاعب بها
أو التحايل عليها**

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ اللَّهَ إِذَا عَاهَدْتُمْ } ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن وفاء الإنسان بالعقود التي أبرمها والعهود التي قطعها أدب رباني قويم ، وخلق نبوي كريم ، وسلوك إنساني مستقيم ، دعا إليه ديننا الحنيف ؛ حيث يقول الحق سبحانه آمراً بالوفاء بالعقود : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ } ، ويقول جل شأنه آمراً بالوفاء بالعهود : { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } ، بل إن القرآن الكريم جعل الوفاء بالعقود والعهود أمانة وعلامة على منزلتين عظيمتين من منازل الإيمان ، ألا وهما الصدق والتقوى ، حيث يقول سبحانه : { وَالْمُؤْمِنُونَ يَعْهَدُ لَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّائِرِينَ فِي الْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } .

وأخبر الحق سبحانه أن أهل الوفاء الملتزمين بعهودهم ومواثيقهم هم أهل محبته ، وصفوته من خلقه ، حيث يقول سبحانه : { بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } ، ثم أخبر سبحانه أنهم أصحاب الأجر العظيم ، وورثة جنة النعيم ، فقال جل شأنه : { وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } ، ثم بين سبحانه هذا الأجر العظيم في موضع آخر من كتابه ، حيث قال سبحانه : { وَالَّذِينَ

(٢)

هُمُ لِمَا نَاتَيْهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ}.

وكما أمر ديننا الحنيف بالوفاء بالعقود والعهود حذرنا من نقضها ، ونهانا عن عدم الوفاء بها أو التلاعب بأي منها ، أو التحايل على عدم القيام بالتزاماتها ؛ لما يترتب على ذلك من خلل واضطراب مجتمعي ، وضياع للحقوق ، وفقدان للثقة بين أبناء المجتمع ، وتعطيل لمسيرة المجتمع ونهضته ورفيقه ، حيث يقول سبحانه : {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} ، أي : والتزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم سواء فيما بينكم وبين الله ، أو فيما بينكم وبين الناس ، فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، ولا تنكثوا الأيمان بعد أن أكدتموها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامناً حين عاهدتموه ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (المُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ ، إِلَّا شَرْطًا حَرَمَ حَلَالًا ، أَوْ أَحَلَ حَرَامًا) .

ولا فرق في ذلك بين الالتزامات الشخصية والعامة ، بل إن الوفاء بالعقود تجاه المال العام ألزم وأوجب ، والإخلال بها أشد جرماً وإثماً ، لكثرة أصحاب الحقوق المتعلقة بها ، كما أن الدين والأمانة والوطنية كل ذلك يدفع دفعاً إلى الوفاء بالعقود والعهود على الوجه الأكمل الأتم الذي يرضى الله سبحانه ، فمن أبرم عقداً وجب عليه أن يحترمه ، ومن أعطى عهداً وجب عليه أن يلتزم به .

على أن الإخلال بمقتضيات العقود أكل للسحت ، وأكل لأموال الناس بالباطل ، يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} ، ويقول نبينا

(صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ).

وقد بين لنا القرآن الكريم أن عاقبة الغدر ستكون وبالاً وخسراً على صاحبها في الدنيا والآخرة ، حيث يقول تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } ، قال محمد بن كعب القرظي: ثلاث خصال من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكر ، حيث يقول تعالى : { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } ، والبغي ، حيث يقول تعالى : { إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ } ، والنكث ، حيث يقول تعالى : { فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ } .

ولقد ضرب لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة بفعله وقوله في الوفاء بجميع صوره ، فلم يغدر (صلى الله عليه وسلم) يوماً ، ولم يخن ، بل كان (صلى الله عليه وسلم) براً وفاقياً حتى مع أعدائه ، ولا أدل على ذلك من يوم بدر ، حيث يقول حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ (رضي الله عنه) : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي ، فَأَخَذْنَا كِفَارَ قُرَيْشٍ قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا : مَا تُرِيدُهُ ، مَا تُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصُرَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ ، فَاتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : (انْصِرْفَا نَفِي لَهُمْ يَعْهَدِهِمْ وَتَسْتَعِينُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

وحذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من عقوبة الغدر ، فقال : (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْوَالَيْنَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ ، فَقِيلَ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ) .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن العهد والعقد يشتركان في أن كلا منهما ينبغي الوفاء به ، غير أن العلماء فرّقوا بين العهد والعقد ، فقال بعضهم : العقد هو العهد المؤكد أو

(٤)

الموثق بالكتابة أو الأيمان ، وقال بعضهم : هو ما تعاقد عليه الناس ، أي أنه صار عقد اتفاق بينهم ، سواء أكان شفاهة أم كتابة ، وعلى هذا قالوا : العقد شريعة المتعاقدين . فالعقد الذي بين العامل وصاحب العمل سواء أكان صاحب العمل فرداً أم مؤسسة أم دولة يجب على الطرفين الوفاء به ، فالعامل يؤدي عمله على النحو الذي تضمنه العقد زمناً وأداءً ، كماً وكيفاً ، دون تحايل على العمل بأي صورة من صور التحايل ، وفي المقابل يجب الوفاء بحقه ، وفي الحديث القدسي يقول رب العزة سبحانه : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ) .

وهناك عهد آخر هو عهد الأمان والسلام لكل من يدخل بلادنا سائحاً أو زائراً أو عاملاً أو مقيماً ، طالما أن ذلك يتم بالطرق القانونية ، فكل من يحصل على إذن بالدخول أو الإقامة فقد صار له عهد وعقد أمان ، يحفظ له ماله وعرضه ودمه ، وهذا العهد الذي تعطيه الدولة مُلزم لكل مواطنيها والمقيمين بها ، لا يجوز نقضه أو الالتفاف عليه ، أو التحلل منه لا شرعاً ولا قانوناً ، فإن أخلَّ أحد بنظام الدولة أو حاول النيل منه كانت محاسبته من أجهزة الدولة في ضوء ما تقتضيه وتنظمه القوانين ، وليس لآحاد الناس محاسبته على ما يبدر منه أو التعرض له بسوء وإلا صارت الأمور إلى الفوضى وعدم الانضباط .

وتظهر عظمة الإسلام وتتجلى في أعلى صورها في ضرورة إعلام العدو بنبذ العهد إذا بدا منه نقض للعهد أو إخلال به ، حيث يقول (سبحانه وتعالى) مخاطباً نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) ، وقد كان بين سيدنا معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) وبين

(٥)

الروم عهد ، ففكر معاوية (رضي الله عنه) أن يخرج من الشام على مقربة من حدود الروم فإذا انتهى الموعد باغتهم ، فلحق به رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، فنظروا فإذا عمرو بن عبسة (رضي الله عنه) ، فأرسل إليه معاوية (رضي الله عنه) فسأله ، فقال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة، ولا يحلّها حتى ينقضى أمدّها أو ينبذ إليهم على سواء) فرجع معاوية (رضي الله عنه).
ولله در القائل :

وَفَاءُ الْعَهْدِ مِنْ شَيْبِ الْكِرَامِ وَنَقْضُ الْعَهْدِ مِنْ شَيْبِ اللَّيَامِ
وَعِنْدِي لَا يُعَدُّ مِنَ السَّجَايَا سِوَى حِفْظِ الْمَوْدَةِ وَالذِّمَامِ
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
إخوة الإسلام :

إن نقض العهود وعدم الوفاء بها علامة من علامات النفاق التي بينها لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) وحذر منها أشد التحذير ، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (آية المنافق ثلاثٌ : إذا حدث كذب ،

(٦)

وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ .

ومما لا شك فيه أن نقض العهد مع الله (عز وجل) من أخطر ألوان نقض العهد ، حيث يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : { وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } ، ويقول سبحانه : { وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } .

ألا ما أحوج الإنسانية كلها إلى التخلق بخلق الوفاء بالعهد ليتحقق الخير للناس أجمعين ، وأن ندرك أن الوفاء بالحقوق والالتزامات ، وتحري الحلال شرط في قبول العمل عند الله (عز وجل) ، كما أنه أساس في النهوض والارتقاء بالمجتمعات والدول والأمم .

**اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ،
واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت**